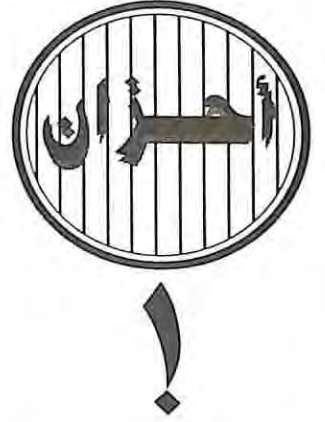




بقلم / عنتر مخيمر

كان يوشك أن يغلبه النعاس ، حين تعالت من خارج مسكنه زغردة صاخبة ،
تضج بفرحة غامرة .. طار النوم من عينيه ..
تلمل في مقعده ..
النتيجة .. بالتأكيد هي .

ماذا يقول لها؟!
مهمته ثانية :
- نتيجة الثانوية يا حاج .
ثم راحت في نشيج فاجع مكتوم .
أغمض عينيه .
تنهد ملتاعاً متحسراً .
آه .. هو أيضاً يريد أن يبكي .. أن يصرخ من أعماقه
عالياً .
ارتعشت شفتاه في استعطاف :
- ستذهب لترى النتيجة؟ .. أليس كذلك؟
شمّلها بنظرة هالعة .
النتيجة؟! .. هل يقدر؟ .. مستحيل .. وأيضاً ما
الفائدة؟ .. الأحلام الزاهية تمزقت .. صرح الآمال
الشامخ تهدم .. وأصبحت أيامه - ليلاً ونهاراً - ظلمة
حالكة .
ترقرقت الدموع في مقلتيه .
أبصرت زوجته دموعه الحبيسة ، فاجتاحتها نوبة بكاء
حارقة .
النتيجة؟ .. يا للحسرة .. حتماً ستكون باهرة .
الكل كانوا يتحدثون بإعجاب عن نبوغها .. بل كانت أمل
مدرستها في نتيجة تفتخر بها .. من الصغر ونتائج
امتحاناتها رائعة .. الأولى دائماً ..
تلاحقت الذكريات .
صورتها مازالت ماثلة في خياله ، وهي تحدّثه عن آمالها .
أعدك يا أبي .. لن تفلت كلية الطب من يدي ! وبعد أعوام
سرعان ما ستنتهي .. سترتفع على واجهة بيتنا لافتة

برق في خياله وجهها ، فهاجت أحزانه ، وأتقد خاطه .
اليوم كان يمكن أن يكون يوم سطوع نجمها .. أما أمها
فكان يمكن أن تطلق هي الأخرى زغاريداً ، وكان
سيصرخ فيها وهو يغالب عواطفه .. يا امرأة اعقلي!
فتهتف والفرحة تهز أعطافها .. دعنا نفرح يا حاج .. هل
لنا غيرها؟ .. الدنيا - اليوم - لا تسع فرحتي .
مزقت سمعه زغردة ثانية .
ارتجح حتى الأعماق .. تندت عيناه بدموع حبيسة .
ستتوالى الزغاريد .. تدوي في سمعه .. تنكأ جرحه
الغائر .
أشعل لفافة بيد ترتعش ، وفي غمّ وكآبة جعل ينثف
دخانها .
بعد لحظات مدّ بصره إلى غرفة النوم ، من خلال بابها
المفتوح ، أبصر زوجته على الفراش ، تدفن وجهها في
حجرها .
لا بد أنها تبكي ، ستموت حزناً .
علا نحيب قلبه .
أبصر زوجته تنهض من فراشها ، ثم تجرّ قدميها إليه .
احتضنها بعينيه ، والأسى يغمره .
راعه الشحوب الذي كسا وجهها .
الأحزان تعصرها ، في أيام أصبحت وكأنها حطام آدمي .
تهالكت على مقعد بجانبه .
وبعد أن هدأت أنفاسها همست في صوت واهن :
- سمعت يا حاج ؟
ارتجفت شفتاه .. احتقن وجهه .. بلغ عذابه منتهاه .
سحق لفافته في المنفضة .

الأدب الإسلامي المقارن

للدكتور / الطاهر أحمد مكي

عرض / د. سمير عبد الحميد إبراهيم

صدرت الطبعة الأولى من كتاب «مقدمة في الأدب الإسلامي المقارن» للدكتور / الطاهر أحمد مكي عن دار عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية بالقاهرة.

عرض المؤلف مفهوم الأدب المقارن، الذي يعنيه في دراسته، فذكر أن من الخطأ في مفهوم الأدب المقارن أن نفهم من الأدب الإسلامي ما كتبه عرب حول قضايا إسلامية، وإنما هو الذي أبدعه مسلمون أيًا كانوا، وأيًا كانت لغتهم، فقد وحد الإسلام بين قلوبهم، وأقام فيهم رابطة فكرية قوية، أقوى من أية رابطة أخرى، وأذاب قدرًا من التباين الفكري الذي يباعد بين الجماعات، ووحد مصادرهم الثقافية، وبالتالي فإن رد أفعالهم تجاه مشكلات الحياة يجيء متقاربًا إن لم يكن واحدًا.

وهكذا تناول الدكتور الطاهر أحمد مكي الأدب العربي، وذكر أنه يعني به كل ما كتب في اللغة العربية على أي أرض، ومهما كانت جنسية كاتبه، ثم تناول بعد ذلك الأدب الفارسي، والأدب التركي، والأدب الأوربي، والأدب الإفريقي (السواحلي، والهوسا)، والأدب الأندونيسي، والأدب الألباني... ثم ناقش الموروث الديني المشترك، وأوضح الأخذ والعطاء بين الآداب، ثم المأثورات الشعبية، ونماذج منها في آداب الشعوب الإسلامية المختلفة، وجعل منها أمثلة لنقط التلاقى بين آداب هذه الشعوب، ذات اللغات المختلفة، تصلح مجالاً للأدب المقارن.

ولس المؤلف نقطة حساسة لدينا جميعاً حين قال: «أما شعوب العالم الإسلامي فمعرفتنا بها لاشئ، وأما آدابها فلا نعرف منها إلا قشوراً...».

كبيرة، مكتوب عليها بخط جميل... الدكتور هدى علي... ومن يدري... ربما يحالفني الحظ فأصبح أستاذة بكلية الطب... لا شئ مستحيل... وأنت تعرف ابتك... ذكاء وإرادة صارمة... وإن شاء الله سأخصص في طب الأطفال... ما رأيك يا أبي؟... أليس أفضل تخصص للمرأة كطبيبة؟... سأثبت أن تفوق الرجال على النساء في مهنة الطب خرافة أطلقها رجل.

فجأة... أتقادت في خياله ذكرى اليوم المشؤوم.

هدى في عيادة الطبيب... تتلوى من شدة الألم.

- لا بد من عملية عاجلة.

صاح هو في دهشة بالغة...

- عملية؟!... هكذا فجأة؟!!

ويرد الطبيب في هدوء وثقة:

- لا تخف... إنها الزائدة.

وكانت المأساة... وقعت الفاجعة... يا لهول ما جرى...

الأمل الوحيد في دنياه الكالحة... الشباب والحيوية جسد ملفوف... جثة هامدة.

أمها تصرخ مفجوعة مولولة... وهو في ذهول... مذعور لا ينطق، فقد أخرسته المفاجأة.

وفي المقابر - قبل دفنها - أمها تصرخ في جنون... دعوني...

دعوني أدفن معها... من لي بعدها... أما هو فقد ألقى نفسه في حضن شقيقه باكيةً مهدهماً.

- لا بد أن تذهب يا حاج.

قالتها في إصرار.

أفاق هو من جحيم ذكرياته.

غاصت عيناه في وجهها الذابل.

هو أيضاً توججه الرغبة العارمة نفسها... أن يعرف ما انتهى إليه نبوغها.

صاحت من بين دموعها...

- ماذا قلت يا حاج؟!!

تأوه قائلاً:

- سأذهب يا حاجة... طبعاً سأذهب.

وقام من مكانه في إعياء... ثم بعيداً عن عينيها أطلق

العنان لدموعه الحبيسة والبكاء المكتوم في داخله، وهو

يدعو الله أن يلهمه الصبر.

ترجمة إبراهيم الدسوقي شتا لأكثر من مجلد، وهي ترجمة مصحوبة بدراسة قيمة، وتعليقات مفيدة، وفي الأدب التركي لم تقع يده على الكتاب القيم لمحمد هريدي بعنوان (الأدب التركي الإسلامي)، كما رجع إلى القليل مما كتبه د. حسين نجيب المصري، والدكتور المصري له دراسات قيمة في الأدب الإسلامي المقارن، طبعت في مصر، وتخدم موضوع الكتاب إلى أقصى حد، كما رجع إلى ما كتبه د. محمد سعيد جمال الدين في الأدب المقارن، دراسة تطبيقية في الأدبين العربي والفارسي، ودراسات في تاريخ المغول، ولكن د. مكي أشار إلى مؤلف آخر وهو رسالة الخلود «جاويد خان» التي درسها د. محمد سعيد جمال الدين وقام بترجمتها للعربية أيضاً (ص ٣٧٢).

مقارنة أدبية:

وراح د. مكي يتحدث عن رسالة الخلود لإقبال، ويقارن بينها وبين ما جاء في الأدب العربي، ويعدّها من الأدب الأردّي، والحقيقة خلاف ذلك، فرسالة الخلود أو جاويد نامه التي ترجمها أيضاً د. حسين مجيب المصري، هي من الأدب الفارسي، ومحمد إقبال كتب شعراً بالفارسية وشعراً بالأردية، ويبدو أن المصادر لم تسعف أستاذنا الدكتور مكي ليقف على هذه الحقيقة، وقد كتب د. عزام عن إقبال ومؤلفاته، وكتابه مطبوع في القاهرة، وجدير بأن يعاد نشره مرة أخرى.

وأتمنى أن يهتم أستاذنا في الطبعة الثانية بالأدب العربي في شبه القارة الهندية الباكستانية، وأن يلفت إليه أنظار المهتمين بدراسة الأدب العربي، ويقوم الآن أحد أساتذة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية وهو الدكتور محمد ابن عبدالرحمن الربيع بدراسة أدب المهجر الشرقي، الأدب العربي في الهند وفي ماليزيا واندونيسيا وغيرها، وسيصدر بحثه قريباً، كما أتمنى أن يهتم أستاذنا بالأجزاء التي صدرت ضمن سلسلة آداب الشعوب الإسلامية هنا في الرياض عن جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ضمن خطة تنفذها عمادة البحث العلمي بالجامعة منذ أكثر من عشر سنوات، وقد صدر المجلد الأول بعنوان «الأدب التركي الإسلامي» للدكتور



د. الطاهر مكي



غلاف الكتاب

ثم يعترف المؤلف الفاضل أنه لم يكن يدرك أن الآداب الإسلامية تنطوي على كل هذا القدر من الرونق والبهاء، ومن التشابه في الظواهر، وتقارب الحركات، والأخذ والعطاء فيما بينها، ظاهراً أحياناً وخفياً في كثير من الأحيان... وحقاً كانت محاولة الدكتور مكي المحاولة الأولى التي لم تسبق على النحو الذي جاءت فيه، وكان مُحققاً حين ذكر أنه بحاجة إلى فريق أو مؤسسة تضطلع بهذا العمل الملح والضروري، وبارك الله في حركة الدكتور مكي؛ لأنه أضاء مشعلاً في سرداب مظلم، ليدخل فيه كل من يريد كشف كنوز الأدب الإسلامي.

والنقطة الحساسة الثانية التي لمسها المؤلف كانت في كشفه للتمييز الظاهر في المصادر الأجنبية على اختلافها، إذ أهملت هذه المصادر أدباء المسلمين كلية، أو مرت بهم مروراً سريعاً، على حين ركزت على أدباء غير مسلمين، كتبوا أدباً بلغة هذا البلد المسلم، واهتموا بهم اهتماماً لا يستحقونه.

وينوي المؤلف أن يقدم عملاً آخر موازياً لعمله هذا، يتضمن نصوصاً أدبية مختلفة، مترجمة إلى العربية، وإلى كل لغات العالم الإسلامي، كما ينوي أن يضيف ويعدل في الطبعات القادمة إن شاء الله.

مصدر إسلامي:

ولعل أستاذنا الدكتور مكي اكتفى أثناء كتابة هذا «المصدر» الرائع من مصادر الأدب الإسلامي، بالمراجع والمصادر التي تيسرت له في القاهرة، وبخاصة العربية منها، أو بعضها، فقد رجع مثلاً إلى (جلال الدين الرومي: المثنوي المجلد الأول ترجمة كفا في طبعة بيروت ١٩٦٦م)، وترك